

الدولة الثامنة المنتقلة من ملوك الافرنج الى ملوك اليونانيين المنصرين

من عهد اغسطوس قيصر الى ان اقام طيباريوس قيصر والمدة قريبة من ستمائة سنة كان الملوك على القسطنطينية والبطارقة وجلّ الجنود روميين اعني افرنجا. غير ان الوزراء والكتّاب والرعايا كافة كانوا يونانيين . ثم صارت المملكة ايضاً يونانية . والسبب في ذلك ان يوسطينيانس الاخير لما ابتلي بالمرض الشديد ويئس من حياته لم يرَ في اهل بيته وخاصته من يفي بسياسة الملك غير وزيره طيباريوس وهو رجل يوناني فبايعه ووضع له التاج بيده . ومن حينئذٍ صارت مملكة القسطنطينية يونانية . الى ان استعادها الافرنج في سنة الف وخمسمائة وخمس عشرة للاسكندر وهي سنة ستمائة للهجرة . ثم فتحها اليونانيون في ايامنا سنة الف وخمسمائة وثمانين وستين للاسكندر وهي سنة خمس وخمسون^١ وستمائة للهجرة .

(طيباريوس قيصر) ملك اربع سنين . وغزت الفرس رأس العين فوجّه اليهم طيباريوس كبير بطارقته المسمى موريتي . فلقيهم هناك فهزمهم . ثم لحق طيباريوس موريتي مع اجناده فغزا الفرس وسبي منهم زهاء الف نفس ومضى بهم فأسكنهم جزيرة قبرس . وعرضت في هذه السنة زلزلة عظيمة . وعرض في الصيف امطار كثيرة وبرد شديد وأظلم الجو وظهر جراد كثير فأكل عامّة الزروع والعبث والبقول . وفيها عرض

١ - خمس وخمسون . والصواب اربع وخمسين .

وباء شديد . ووجد أناس يعبدون الاوثان قتلوا . وفي السنة الرابعة لطيباريوس زوج ابنته لموريتي عظيم قواده وباع له بالعهد وملّكه وتوفي .

(موريتي قيصر) ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة سهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يهيء طعاماً للفقراء والمساكين ستين مرّة ويقوم هو وزوجته من ملكهما فيتوليان خدمتهم واطعامهم واسقائهم . وفي السنة الرابعة لموريتي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من اهلها زهاء اربعمائة الف نفس . وفي السنة الثامنة لموريتي وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلموا عينيه ثم قتلوه وملّكوا عليهم بهرام المرزبان . وكان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بأنوشروان العادل فتنكر كأنه سائل وشقّ سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى منبج وكتب الى موريتي كتاباً نسخته : للاب المبارك والسيد المقدّم موريتي ملك الروم من كسرى بن هرمز ابنه السلام . اما بعد فاني أعلم الملك ان بهرام ومن معه من عبيد ابي جهلوا قدرهم ونسوا انهم عبيد وانا مولاهم وكفروا نعم آبائي لديهم فاعتدوا عليّ وأرادوا قتلي . فهمت ان افزع الى مثلك فأعتصم بفضلك واكون خاضعاً لك لانّ الخضوع لملكك مثلك وان كان عدوا ايسر من الوقوع في ايدي العبيد المرّدة ولأنّ يكون موتي على ايدي الملوك افضل وأقلّ عاراً من ان يحجري على ايدي العبيد . ففزعت اليك ثقةً بفضلك ورجاء ان ترأف على مثلي وتمدني بجيوشك لأقوى بهم على محاربة العدو وأصير لك ولداً سامعاً ومطيعاً ان شاء الله تعالى . فلما قرأ موريتي كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلته لانه لجأ اليه وأنجده بعشرين ألفاً وسيّر له من الاموال اربعين قنطاراً ذهباً . وكتب اليه كتاباً نسخته : من موريتي عبد ايشوع المسيح الى كسرى ملك الفرس ولدي واخي السلام . اما بعد فقرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر العبيد الذين تمردوا عليك وكوزهم غمطوا أذُنهم آبائك وأسلافك غمطاً وخرّوجهم عليك ودحضهم ايتاك عن ملكك . فداخني من ذلك أمرٌ حرّكني على التراف بك وعليك وامدادك بما سألت . فأما ما ذكرت من ان الاستتار تحت جناح ملك عدوّ والاستغلال بكنفه آثر من الوقوع في ايدي العبيد المرّدة والموت على ايدي الملوك افضل من الموت على ايدي العبيد . فانك اخترت افضل الخصال ورغبت اليها في ذلك . فقد صدقنا قولك وقبلنا كلامك وحققنا أملك وأتممنا بغيثك وقضينا حاجتك وحمدنا سعيك وشكرنا حسن ظنك بنا ووجهنا اليك بما سألت من الجيوش والاموال وصيّرناك لي ولداً وكنيت لك أباً . فاقبض الاموال مباركاً لك فيها وقد الجيوش وسر على بركة الله وعونه . ولا يعترينك الضمجر والهلع بل تشمر لعدوك ولا

تقصّر فيما يجب لك اذا تطأأت من درجتك وانحططت عن مرتبتك . فاني ارجو ان يُظفرك الله بعدوك ويكتبه تحت موطن قدميك ويردّ كيده في نحرك ويُعيدك الى مرتبتك برجاء الله تعالى . فلما وردت الجيوش على كسرى وقبض الاموال وتشجّع بقراءة كتاب موريتي سار مع جيوش الروم نحو بهرام فلقيه بين المدائن وواسط . فصارت الهزيمة على بهرام وقتل اصحابه كلهم . واستباح كسرى عساكر بهرام ورجع الى مملكته فجلس فيها وباعه الناس كلهم . ودعا بالروم فأحسن جائزتهم وصرّفهم الى صاحبهم . وبعث الى موريتي من اللطاف والاموال اضعاف ما كان أخذ منه . وردّ دارا وميافارقين الى الروم وبني هيكلين للنصارى بالمدائن وجعل احدهما باسم السيدة والآخر باسم مار سرجيس الشهيد .

وفي السنة السادسة عشرة لموريتي كان مطر شديد غرقت به مدن كثيرة مع اهلها ودوابها ومواشيها . ولأن موريتي بعد مصالحته للفرس قطع ارزاق جنوده فاجتمع عظماء الروم الى مدينة هرقله وارادوا تملك فطري اخي موريتي . فهرب منهم ومضى الى قسطنطينية . وهرب ايضاً موريتي الى خلقيدونية . فلحقته الروم فألقوه وعليه خلقان في ذي الفقراء والسؤال فقتلوه وملّكوا عليهم رجلاً من بطارقتهم يقال له فوقا .

(فوقا قيصر) . ملك ثماني سنين . ولم يكن من بيت الملك . فلما بلغ كسرى بن هرمز قتل موريتي نقض العهد وغزا دارا فافتتحها وافتتح ايضاً آمد وحلب . ثم عطف على قنّسرين ورجع الى الرها . وفي السنة الثامنة لفوقا خرج عليه خارجيان احدهما هرقل والآخر غريغور بافريقية ووجّها جيوشاً مع ابنيهما هما هرقل بن هرقل ونقيطا بن غريغور وتقدّما اليهما بقتل فوقا وتعاقدا بينهما ان الملك للسابق الى قسطنطينية اذا قتل فوقا . فركب هرقل البحر وسار نقيطا في البرّ والى هرقل البحر هادئاً ساكناً فسبق ودخل المدينة وقتل فوقا وملك .

(هرقل قيصر) ملك احدى وثلاثين سنة وخمسة اشهر . وفي اول سنة من ملكه ارسل وفداً الى ملك الفرس ليصالحه . فلم يجبه الى ذلك بل غزا انطاكية وقامية وحمص وقيسارية وافتتحها . وفي هذه السنة عرض بالروم جوع شديد حتى أكل الناس الجيف وجلود البهائم . وقصد نقيطا بن غريغور مدينة الاسكندرية فاستولى عليها . وفي السنة الرابعة لهرقل ملكت العرب وهي سنة تسعمائة وخمس وثلاثين للاسكندر ا . وفي السنة الخامسة لهرقل افتتح الفرس البيت المقدس . وبعد ثلث سنين افتتحوا الاسكندرية ومصر

١ - والصواب تسعمائة وثلاث وثلاثين . وهكذا ايضاً في س .

ووصلوا الى النوبة وغزوا خلقينونيا فافتتحوها. وفي السنة العاشرة لهرقل تحركت العرب
بيثرب. وفي السنة الخامسة عشرة لهرقل غزا الفرس جزيرة رودس فافتتحوها. وأمر
كسرى ان يؤخذ رخام الكنائس التي في جميع المدن التي فتحها وتحذر الى المدائن.
ولقي فيه الناس جهداً جهيداً. وفي هذه السنة غزا اهل هرقل الفرس فافتتحو مدينة
كسرى وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا. وفي السنة السابعة عشرة لهرقل انكسف نصف
جرم الشمس وثبت كسوفها من تشرين الاول الى حزيران ولم يكن يظهر من نورها
الأشئ يسير.

• • •

وفي هذا الزمان كان الحارث بن كلدة طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل
الطائف رحل الى ارض فارس وأخذ الطبّ عن أهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية
قبل الاسلام وطبّب بأرض فارس وحصل مالا. ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع
الى الطائف واشتهر وأدرك الاسلام. وكان النبي عليه السلام يأمر من كان به علّة ان
يأتيه فيستوصفه. وكان الحارث يقول: من سرّه البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف
الرداء وليقلّ من غشيان النساء. يُريد بخفة الرداء ان لا يكون عليه دين^١ وقيل مات
الحارث في اول الاسلام ولم يصحّ اسلامه. وفي هذا الزمان كان يُعرف اهل القسّ
الاسكندري. وكنّاشه في الطبّ موجود عندنا بالسريانية وهو ثلثون مقالة. وزاد عليها
مقالتين أخريين.

١ - قال ابن أبي أصيبعة: «سمي الدين رداء لقولهم: هو في عني وفي ذمتي. فلما كانت العنق موضع الرداء
سمي الدين رداء».